المحاضرة الرابعة **الوضع الثقافي، الإسلام، والهوية الوطنية**

المدرس المساعد: نور الهدى رياض ايوب
Noorriyadh93@uomustansiriyah.edu.iq

تتشابك الثقافة والسياسة والدين في ماليزيا الحديثة بشكل لا يمكن فصله. فالهوية الوطنية لم تكن نتاج تطور تاريخي خطي عفوي، بل كانت ساحة صراع لغوي وأيديولوجي بين رغبة الدولة في فرض "ثقافة مركزية صاهرة" مستمدة من المكون الملايوي الإسلامي، وتشبث الأقليات بحقوقها الثقافية التعددية، بالتزامن مع موجة عارمة من الصحوة الإسلامية أعادت تشكيل الفضاء العام والمؤسساتي للبلاد منذ ثمانينات القرن العشرين.

المحور الأول: معضلة صياغة الثقافة الوطنية (سياسة 1971)

1. مؤتمر الثقافة الوطنية ومبادئه الثلاثة

في أعقاب اضطرابات 1969 العرقية، أدركت النخبة الحاكمة أن غياب هوية ثقافية مشتركة يهدد بقاء الدولة. وبناءً عليه، عُقد "مؤتمر الثقافة الوطنية" عام 1971 وصيغت **"سياسة الثقافة الوطنية (National Cultural Policy)** "التي قامت على ثلاثة مبادئ صارمة:

- **المبدأ الأول :**أن تستند الثقافة الوطنية في أساسها على ثقافة السكان الأصليين (الملايو) في المنطقة.
- **المبدأ الثاني :**إمكانية استيعاب وعناصر من الثقافات الأخرى (الصينية والهندية والغربية) إذا تبينت ملاءمتها ومطابقتها للاعتدال.
- **المبدأ الثالث :**يشكل **الإسلام** العنصر الأساسي والجوهري في صياغة هذه الثقافة الوطنية.

2. الصدام الثقافي والمقاومة السلبية للأقليات

أثارت هذه السياسة الموجهة حكومياً حفيظة الأقليات غير المسلمة (الصينيين والهنود) التي اعتبرتها محاولة صهر قسري لثقافاتها وتهميشاً لإرثها التاريخي. وتجسدت مقاومة الأقليات الثقافية في:

- التمسك برفض استخدام اللغة الملايوية في الأنشطة الثقافية الخاصة بالصينيين والهنود كشرط للدعم الحكومي.
- تأسيس حراك شعبي لحماية المهرجانات التقليدية، مثل رقصة الأسد الصينية والاحتفالات الدينية كـ "التايبوسام" الهندي، وتحويلها إلى أدوات للتعبير عن الوجود والخصوصية الثقافية خارج الإطار الرسمي للدولة.

المحور الثاني: الصحوة الإسلامية (الأسلمة) وإعادة هندسة الفضاء العام

1. موجة "الصحوة" في السبعينات والثمانينات

تأثرت ماليزيا بالمد الإسلامي العالمي في السبعينات؛ فبرزت حركات شبابية ودعوية محلية طالبت بتطبيق الشريعة والعودة للجذور، وعلى رأسها **حركة الشباب الإسلامي الماليزي (ABIM)**. ولمجابهة هذا الحراك الساعي لسحب الشرعية الدينية من السلطة، اتبع رئيس الوزراء مهاتير محمد استراتيجية احتواء مزدوجة:

- استقطاب رئيس حركة (ABIM) الشاب آنذاك **أنور إبراهيم** وضمه للحزب الحاكم (UMNO) عام 1982.
- تبني الحكومة لـ "برنامج استيعاب القيم الإسلامية" في أجهزة الدولة لتفويت الفرصة على الحزب الإسلامي المعارض (PAS).

2. مأسسة الإسلام وصعود "البيروقراطية الدينية"

أدت هذه المنافسة السياسية الدينية إلى توسع هائل في بنية رأسمالية الدولة الإسلامية عبر:

- تأسيس **الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (IIUM)** عام 1983 لتخريج تكنوقراط يجمع بين العلوم الحديثة والشريعة.
- بناء وتطوير نظام مصرفي مالي وتكافلي إسلامي متكامل جعل من كوالالمبور قطباً دولياً للمالية الإسلامية.
- توسيع صلاحيات ونفوذ **مصلحة التطوير الإسلامي الماليزي(JAKIM)** ، وهي الهيئة الحكومية المركزية المهيمنة على الفتاوى، رقابة المطبوعات، ومنح شهادات "الحلال"

العالمية، مما منح رجال الدين نفوذاً بيروقراطياً غير مسبوق في توجيه السياسات العامة وحياة الأفراد.

المحور الثالث: ثنائية النظام القانوني وقضايا الهوية الشائكة

1. الصدام بين القانون المدني ومحاكم الشريعة

منح التعديل الدستوري للمادة (121A) عام 1988 محاكم الشريعة الإسلامية استقلالية تامة في اختصاصاتها (الأحوال الشخصية للمسلمين) ومنع المحاكم المدنية العليا من التدخل في أحكامها. هذا الفصل أفرز أزمات قضائية واجتماعية معقدة تُعرف بقضايا "المنطقة الرمادية"، مثل:

- **قضايا الردة واعتناق الإسلام :** النزاعات القانونية حول حضانة الأطفال وإرث الأسر في حال إسلام أحد الزوجين وانفصاله عن الطرف غير المسلم.
- **التداخل التشريعي :** محاولات بعض الولايات الريفية المحافظة) مثل كيلانتان وترينجانو بقيادة حزب (PAS تطبيق العقوبات الجنائية الإسلامية (الحدود)، والتي تصطدم دائماً بالدستور الفيدرالي المدني للبلاد.

المحور الرابع: الحداثة الحضرية وعولمة الثقافة الماليزية

1. العمارة الحداثية الإسلامية كرمز للدولة التنموية

استخدمت الدولة العمارة الحديثة لتعكس هويتها التنموية ذات الصبغة الإسلامية؛ فجاءت تصاميم ناطحات السحاب مثل **أبراج بتروناس التوأم (Petronas Towers)** ومبنى الأمانة العامة الحكومية في العاصمة الإدارية "بوتراجايا" لتمزج بين الأنماط الهندسية الإسلامية التقليدية (النجمة الثنائية) وأحدث تقنيات البناء الغربية، كرسالة بصرية مفادها أن ماليزيا مسلمة وعصرية في آن واحد.

2. مأزق الهوية في عصر الفضاء الرقمي وعولمة الاستهلاك

يواجه مجتمع ماليزيا الحديث انقساماً ثقافياً جديداً فرضته العولمة:

- **الجيل الحضري المعولم :**جيل شاب عابر للأعراق يتمركز في المدن الكبرى، متأثر بالثقافة الرقمية العالمية، ويبحث عن هوية ليبرالية مدنية تتجاوز الأطر العرقية والدينية التقليدية.

- **التيار النيوعثماني والمحافظ :**تيار متنامٍ داخل مجتمع الملايو يتبنى نمط حياة إسلامي استهلاكي حديث (أزياء المحجبات المحتشمة، الفن الإسلامي المعاصر، السياحة الحلال)، لكنه يظهر تشدداً متزايداً تجاه قضايا الحريات الفردية والأفكار العلمانية الوافدة، مما يجعل صياغة "هوية وطنية جامعة وموحدة" مشروعاً قيد التعديل والمفاوضة المستمرة.